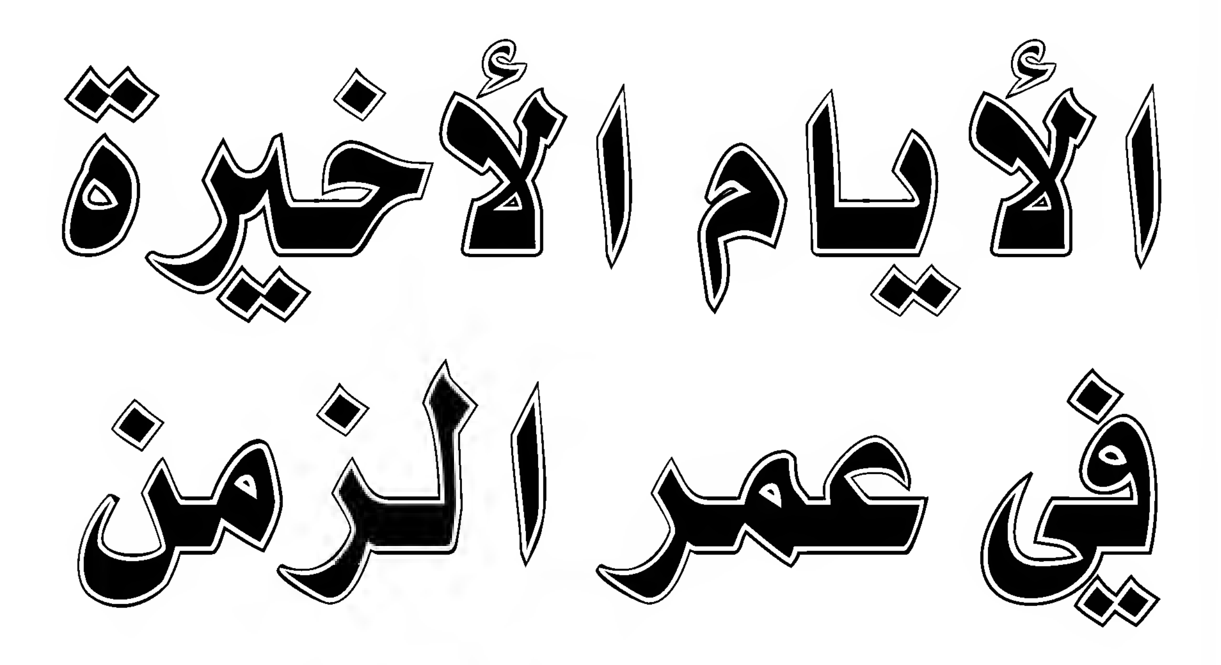
بسم الله الرحمن الرحيم



قراءة معاصرة في أحاديث الفتن والملاحم

تأليف

عدنان طه





مقدمة

إن الحمد لله... نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إ لا الله وحده لا شريك له، هو حسبنا ونعم الوكيل، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أدى الأمانة ونصح الأمة... وبين النجاة من كلِ فتنة وغُمة، وحذرنا من فتنٍ كقطع الليل المظلم[1]... كنا نخشى أن نسمع بها... فضلاً عن أن نراها ونعيشها... فالنّجاة النجاة... ولا حول و لاقوة إلا بالله العلي العظيم...

كان صحابة رسول الله ﷺ يلوذون به إذا حمى الوطيس وادْلَهَمَّ الخطب... ولعل الرجوع إلى سنته ﷺ وما ترك من آثار وأخبار يكون لنا ملاذاً آمناً من الفتن، وعزاءً مما نحن فيه... ونوراً نتلمس به الطريق في هذا النفق المظلم، فهو ﷺ لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى... لقد جهدت مؤسسات الغرب ومراكز دراساته وأبحاثه في استشعار المستقبل وما يتوقع أن يحدث فيه من مستجدات وأحداث... وذلك ليتعاملوا معها تعاملاً تعاملاً منسجماً مع توقعاتهم، بعيداً عن كل ارتجال أو ردة فعل أو مفاجأة... وإن كنا نحن أولى بتلك الدراسات منهم بما لدينا من كمٍّ هائل... من نصوص ثابتة فيما سيحدث من أحداث وما يستجد من أمور من الكتاب الكريم والسنة الثابتة الصحيحة عن رسولنا ﷺ، والتي يجب أن تكون قاعدة انطلاقنا ومرجعيتنا الأساسية في رسم خريطة المستقبل، واستشراف أحداثه... إلا أننا ما زلنا بعيدين عن ذلك كل البعد... فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ولعل الملفت للنظر أن الغرب النصراني لم يكد يصحو من نشوة فرحه بانهيار – الاتحاد السوفياتي – حتى بدأ يبحث مع من سيكون صراعه في المستقبل، من خلال – صراع الحضارات – وفي دراسة في هذا السباق أكدت حتمية الصراع بين الغرب النصراني والشرق الإسلامي – تحالف المسلمين مع الصين – وأعدوا دراسات لمواجهة هذا التحالف المحتمل.

[1] سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/٨١٠ حسن "تكون بين يدي الساعة فتن كقطع الليل المظلم... يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً... ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً... يبيع أقوام دينهم بعرض الدنيا".

فيا سبحان الله! أبهذه السرعة يتصرفون، ومن خلال هذه الدراسات يخططون، ونحن ما زلنا على هامش الأحداث ننتظر المجهول!

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

وعندنا من النصوص الثابتة – من القرآن والسنة – ما يرسم لنا خريطة المستقبل حتى قيام الساعة، والأمر يحتاج فقط إلى إعادة قراءة نصوص الفتن والملاحم، والبحث عن جذور هذه الصراعات من خلال الواقع الحالي، وما قد يتطور مستقبلاً.

وإن كان على الصعيد الفردي. فكما قال حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه: (كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني)[٢]، وهذا شأن كل مسلم.

وإن كان على الصعيد الجماعي فقد آن الأوان أن يبحث المسلمون عن دورهم في صناعة الأحداث، وإخراج العباد من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

والآثار التي تتحدث عن هذا الدور كثيرة جداً... ولكن... كنت كثيراً ما أتساءل... وأسأل... كيف سيظهر هذا الدين على الدين كله... ويصل إلى ما وصل إليه الليل والنهار... ويحقق انتصاراته في هذه الفترة الزمنية القليلة القادمة... والمسلمون على ما هم عليه الآن من الضعف... والهوان... والله سبحانه وتعالى وضع سنناً وأسباباً، وجعل نصر هذا الدين على أيدي المسلمين أنفسهم... فما هو المتوقع؟ فهل سينهار الغرب كما انهار الشرق؟ أم يأخذ المسلمون بأسباب القوة؟ كل هذه التساؤلات وأخرى جعلتني أعيد قراءة الآثار مرات ومرات، وخاصة التي تتحدث عن الملاحم والقتال مع الروم واليهود وكل الأعداء.

وكانت تساؤلاتي تزداد مع قراءة هذه النصوص... فهناك خيول... وسهول... ورايات وسيوف وفوارس... وربما كان هذا السبب الرئيس في شحذي للهمم واستثارة الباحثين لدراسة هذه المسألة، وإلقاء الضوء على مستقبل ينتظرنا... لكي يعرف المسلمون أين يضعون أقدامهم... وما هي أساليبهم ووسائلهم... ويعدّوا لذلك عدته...

فرأيت أن أضع بين يدي القارئ هذه المقدمة، لعلها تكون بدايةً لدراساتٍ أعم وأشمل بإذن الله تعالى. فقمت بمحاولةٍ لترتيب تسلسل هذه الأحداث الساخنة ومعرفة

---

[٢] بخاري – كتاب الفتن – باب كيف الأمر إذا لم يكن جماعة/ ١٩١٠/ط دار الأرقم.

مكانها وزمانها، وصانعيها وأدواتهم ووسائلهم وأين مواقعهم الآن؟ ومستقبلاً... من خلال هذه القراءة المعاصرة لأحاديث الفتن والملاحم وربطها بالواقع المنظور، مع ترك الباب مفتوحاً لكل دارس أو باحث في تسليط الضوء أمام مستقبل المسلمين... مما يعود عليهم بالخير والنصر والتمكين بإذن الله.

كيف لا؟ وقد قال ﷺ: (تلاكت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عَلَيَّ الحوض)[٣].

ولعل الذي شجعني على طرق هذا الباب أولاً: الحاجة الماسة إليها، ثانياً: افتقار المكتبة الإسلامية إلى هذا النوع من الدراسة والتي أسأل الله تعالى أن يسخر لها من يعطيها حقها من البحث.

ولا يفوتني أن أذكر هذه التوقعات والاحتمالات التي ترد مما لا نص فيه، ليست بالضرورة حتمية الوقوع... بل من باب الترجيح... وهي لا تعدو أن تكون لمسات أخيرة لاستكمال الصورة...

فإن أصبت فمن الله... وإن أخطأت فمن اجتهادي ونفسي، وأستغفر الله على ذلك... وأسأله تعالى أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

والله الموفق وهو المستعان.

المؤلف
عدنان طه



[٣] رواه الحاكم عن أبي هريرة وأورده السيوطي في الجامع وصحح الألباني/٢٩٣٧.

أقسام البحث

- المبحث الأول: أين نحن من عمر الزمن.
- المبحث الثاني: مواقع الأحداث الساخنة.
- المبحث الثالث: صانعو الأحداث وأدواتهم.
- المبحث الرابع: مصير المدَنِيَّة والعودة إلى البداية.
- المبحث الخامس: تسلسل الأحداث.
- خاتمة.



المبحث الأول
أين نحن من عمر الزمان

١) علم الساعة:

حاول الكثيرون وضع تقدير لعمر الدنيا، ولكن لا أحد يستطيع الجزم بذلك لأن ذلك متعلق بعلم الساعة... وهذا مما استأثر به الله سبحانه وتعالى و لم يَطْلِعْ عليه أحداً...

{يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً} [الأحزاب: ٦٣].

{يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي} [الأعراف: ١٨٧].

{يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا} [النازعات: ٤٢ – ٤٤].

{وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [النحل: ٧٧].

ولما سأل جبريل عليه السلام النبي ﷺ عن الساعة فأجاب: (ما المسؤول عنها بأعلم من السائل)[٤].

٢) اقتراب الساعة:

فقد دلت على ذلك آيات وأحاديث كثيرة منها: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ} [القمر: ١].

وقد حصل الانشقاق في عهده ﷺ وهذا يعني أن الساعة قد اقتربت منذ بعثته ﷺ.

{اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ} [الأنبياء: ١].

وفي الآية ٦٣ من سورة الأحزاب؛ {... وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً}.

[٤] صحيح البخاري – كتاب الإيمان – باب سؤال جبريل النبي ﷺ من الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة حديث رقم/٤٩/ط دار الأرقم تحقيق قاسم النسائي الرفاعي.

ومن الأحاديث الشريفة يقول ﷺ: (بعثت أنا والساعة كهاتين، ويشير بإصبعيه فيمدهما) السبابة والوسطى[٥].

وقال ﷺ: (بُعثت في نَسْم الساعة)[٦].

وفي حديث آخر في مسند الإمام أحمد: (بعثت أنا والساعة جميعاً إن كادت لتسبقني)، وهذا يدل على شدة قربها من بعثته ﷺ[٧].

وحديث: (بعثت بين يدي الساعة بالسيف... حتى يُعْبَدَ الله وحده لا شريك له، وجُعِلَ رزقي تحت ظل رمحي، وجُعل الذِّلَّةُ والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقومٍ فهو منهم)[٨].

٣) عمر الدنيا وبقاء هذه الأمة:

وفي إشارة إلى عمر الدنيا وبقاء هذه الأمة قال ﷺ: (إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم – ما بين صلاة العصر ومغرب الشمس)[٩].

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ والشمس على قيعان – جبل قيعان – بعد العصر، فقال: (ما أعماركم في أعمار من مضى إلا كما بقي من النهار وفيما مضى منه)[١٠].

وهذا يعني أنه لو قدِّرت الدنيا بيوم لكانت الأمم السابقة منذ عهد آدم عليه السلام من الفجر حتى العصر، وبقاء أمة محمد ﷺ من العصر حتى المغرب بهذه النسبة. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على شدة قربها.

---

[٥] البخاري – كتاب الرقاق – باب قول النبي ﷺ: " بعثت أنا والساعة كهاتين " عن سهل رضي الله عنه رقم/١٣٦٨.

[٦] سلسلة الأحاديث الصحيحة – المجلد ٢/رقم ٨٠٨ إسناده صحيح ورجاله ثقات. رواه الدولابي في الكنى (٢٣/١) وابن منده في المعرفة (٢/٢٣٤/٢).

[٧] قال ابن حجر: أخرجه أحمد والطبراني وسنده حسن. فتح الباري ٣٤٨/١١.

[٨] ٥٠/٢ و٩٢/مسند أحمد – وأخرجه البخاري معلقاً عن ابن عمر عن النبي ﷺ في كتاب الجهاد رقم ٨٨.

[٩] البخاري – كتاب أحاديث الأنبياء – باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

[١٠] مسند أحمد ١٧٦/٨ ح ٥٩٦٦ شرح أحمد شاكر قال: إسناده صحيح وعند ابن كثير في النهاية حسن ١٩٤/١.

{فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ} [محمد: ١٨].

٤) أشراط الساعة:

أشراطها من حيث الظهور:

١) من أشراط الساعة ما جاء وانتهى.

٢) ومنها: ما جاء وهو مستمر ويزداد.

٣) ومنها: ما لم يأت بعد.

١) أما الأشراط التي جاءت وانتهت، فهي:

بعثة النبي ﷺ، وظهور الفتن، وفتح فارس، وانتشار الإسلام، وقتال الترك — المغول – والعجم، وظهور النار قرب المدينة... وانشقاق القمر، وموته ﷺ موقعة صفين، مقتل عثمان رضي الله عنه، ظهور الخوارج، موقعة الحرَّة، اتباع سنن الأمم الماضية، ظهور مدعي النبوة، السفر الآمن في الطرق وانتشاره، وغير ذلك.

٢) أما الأشراط التي ظهرت وهي باستمرار وازدياد فهي:

انتشار الخمور، والمعازف، والزنا، واستحلالها والكاسيات والعاريات، والفواحش، وكثرة النساء وقلة الرجال، ولادة الأمة ربتها، انتشار الربا، كثرة التجارة وتقارب الأسواق، وقطيعة الرحم وسوء الجوار، وكثرة الشح، والكذب، وشهادة الزور، وضياع الأمانة، وإسناد الأمر إلى غير أهله، وذهاب الصالحين، ارتفاع الأسافل وقبض العلم وظهور الجهل، والتماس العلم عند الأصاغر، وكثرة الكتابة والطباعة، وزخرفة المساجد والتباهي بها واتخاذها طرقاً وسياحة، التهاون بالسنن، وصدق رؤيا المؤمن، والتطاول بالبنيان، وكثرة القتل، وموت الفجأة، كثرة الشرطة وأعوان الظلمة، وظهور الشرك، وتقارب الزمن، وانتفاخ الأهلّة، وكثرة الزلازل، وعودة أرض العرب مروجاً وأنهاراً، وتمني الموت من شدة البلاء، وكثرة الروم، وغير ذلك كثير مما نعيشه اليوم ونراه، وقد أخبر عنه ﷺ، وبقية أشراطٍ أخرى على وشك الظهور، وإن كنا نشتم روائحها وسنذكرها في حينها إن شاء الله تعالى.

المبحث الثاني
مواقع الأحداث الساخنة

١) الشام موطن الأحداث:

لئن كانت مكة والمدينة، شرفهما الله المبدأ والبعث، وظهور الدين... فإن كمال ظهوره وتمامه حتى يملكه المهدي بالشام[١١]...

ولحكمة ما! أُسري بالنبي ﷺ من المسجد الحرام في مكة المكرمة... إلى المسجد الأقصى... بالشام... ومنه عرج إلى السماوات العلى.

وفي إشارة منه ﷺ في هذا السياق قال: (إني رأيت عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي فنظرت فإذا هو نور ساطع... عُمد به إلى الشام. ألا إن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام)[١٢].

ومن خلال استقراء أكثر النصوص التي تتحدث عن أحداث آخر الزمن، يُلاحظ أن الشام مسرحها الأكبر مع مكة والمدينة.

والشام أرض التين والزيتون وطور سينين، والتي أقسم الله بها[١٣]، تضم الآن من حيث الموقع الجغرافي - سوريا ولبنان والأردن وفلسطين - مع سيناء وأطراف الجزيرة.

وقال ياقوت الحموي عنها: (وحد الشام من الفرات إلى العريش المتاخم للديار المصرية، وأما عرضها فمن جبلَيْ طيء من نحو القبلة إلى بحر الروم وما بشأمه من البلاد، وبها من أمهات المدن؛ منبج، وحلب، وحماة، وحمص، ودمشق، وبيت المقدس، والمعرّة، في الساحل انطاكية، وطرابلس، وعكا وصور، وعسقلان وغير ذلك، وطولها من الفرات إلى العريش نحو شهر، وعرضها نحو عشرين يوما)[١٤].

---

[١١] من كلام ابن تيمية رحمه الله في مناقب الشام وأهله.

[١٢] حديث صحيح – أخرجه الحاكم (٩٠٥/٤)، وأبو نعيم في الحلية (٢٥٢/٥). والحديث أورده الهيثمي في المجمع (٥٨/١٠) وقال رواه الطبراني في " الكبير والأوسط ". انظر كتاب تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق للربعي – للشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

[١٣] إشارة إلى سورة " التين " آية ١ – ٢.

[١٤] معجم البلدان – ياقوت الحموي.

وهي أرض مباركة بنصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة.

٢) بركة الشام في القرآن الكريم:

وهي في خمسة مواضع...

١) أولاً في سورة الإسراء: {سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الإسراء: ١].

ومعروف أن المسجد الأقصى وما حوله بالشام.

٢) وفي سورة الأنبياء في قصة إبراهيم عليه السلام: {وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ۝ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِى بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: ٧٠ - ٧١].

ومن المعلوم أن إبراهيم عليه السلام نجاه الله إلى أرض الشام من أرض الجزيرة والعراق.

٣) وفي نفس السورة: {وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِى بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَالِمِينَ} [الأنبياء: ٨١]، وكانت تجري هذه الريح إلى أرض الشام التي فيها مملكة سليمان عليه السلام.

٤) وفي سورة سبأ: {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِى بَارَكْنَا فِيهَا قُرىً ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ} [سبأ: ١٨] وهو ما كان بين اليمن - مساكن سبأ - وبين قرى الشام من العمارة القديمة كما ذكر العلماء.

٥) وفي سورة الأعراف: {... وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِى بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا} [الأعراف: ١٣٧]... وبنو إسرائيل إنما أورثوا مشارق أرض الشام ومغاربها بعد أن أُغْرِق فرعون في اليم.

والشام أرض المحشر كما في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ} [الحشر: ٢]، وذلك بخروج يهود المدينة إلى أطراف الشام[١٥].

٣) بركة الشام في السنة:

هنالك كثير من الأحاديث الصحيحة عن بركة الشام وفضلها ومنها:

١) عن زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: (يا طوبى للشام! يا طوبى للشام! قالوا: يا رسول الله ولم ذلك؟ قال: تلك ملائكة الله باسطو أجنحتهم على الشام)[١٦].

وفي إحدى الروايات: (طوبى لأهل الشام)[١٧].

٢) وعن عبد الله بن حوالة قال: قال رسول الله ﷺ: (ستجدون أجناداً جنداً بالشام، وجنداً بالعراق، وجنداً باليمن)، قال عبد الله: فقمت فقلت: خر لي يا رسول الله، فقال ﷺ: (عليكم بالشام، فمن أبى فليلحق بيمنه، وليستق من غُدُره، فإن الله عز وجل قد تكفل لي بالشام وأهله)، قال ربيعة: فسمعت أبا إدريس يحدث بهذا الحديث يقول: (ومن تكفل الله به فلا ضيعة عليه)[١٨]، حديث صحيح.

٣) وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: صلى رسول الله ﷺ الفجر، ثم أقبل على القوم فقال: (اللهم بارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في مُدّنا وصاعنا، اللهم بارك

---

[١٥] انظر تفسير ابن كثير – سورة الحشر.

[١٦] صحيح أخرجه الترمذي (٢/٣٣١) طبع بولاق وأحمد في المسند (٥/١٨٤) والحاكم في المستدرك (٢/٢٢٩) وقال " حديث صحيح على شرط الشيخين " ووافقه الذهبي.
وقال المنذري في الترغيب (٤/٦٣).
رواه ابن حبان في " صحيحه " والطبراني بإسناد صحيح – فضائل الشام.

[١٧] فضائل الشام – نفس المصدر.

[١٨] يقول الشيخ ناصر: حديث صحيح جداً، فإن له أربع طرق، الأول: طريق المصنف وهي من طريق مكحول عن أبي حوالة على – خلاف عليه فيه.
وقد أخرجه الحاكم (٤/٥١٠) وأحمد (٥/٣٣) وقال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.
الثاني: أخرجه أبو داود (١/٣٨٨) وأحمد (٤/١١٠) وإسناده صحيح.
والثالث: أخرجه أحمد أيضاً (٥/٢٨٨).
الرابع: أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (٢/٣٥).
وله طريق خامس رواه المصنف. وله شواهد في حديث أبي الدرداء وغيره... فضائل الشام.

لنا في حَرَمنا وفي شامنا)، فقال رجل: وفي العراق؟ فسكت، ثم أعاد، قال الرجل: وفي عراقنا؟ فسكت ثم قال: (الله بارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في مدنا وصاعنا اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم اجعل مع البركة بركة... الحديث)[١٩].

وزاد ابن عساكر قال: قال رجل: والعراق يا رسول الله؟ قال: (مِنْ ثَمَّ يطلعُ قرن الشيطان وتهيج الفتن)، وفي رواية عن نافع عن ابن عمر: (اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا)، قالوا: وفي نجدنا؟ قال: (هناك الزلازل والفتن)، رواه البخاري[٢٠].

ويستفاد من مجموع طرق الحديث أن المراد بنجد، ليس هو الإقليم المعروف اليوم بل هو نجد العراق وبذلك فسره الإمام الخطابي والحافظ ابن حجر العسقلاني[٢١].

٤) وعن عبد الله بن حوالة قال: يا رسول الله اكتب بلداً أكون فيه، فلو أعلم أنك تبقى لم أختر على قربك؟ قال: (عليك بالشام) - ثلاثا -

ومنه حديث ابن حوالة نفسه: (وعليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده) صحيح[٢٢].

٥) وعن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: (فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام).

وفي رواية أخرى قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (يوم الملحمة الكبرى فسطاط المسلمين بأرض يقال لها الغوطة فيها مدينة يقال لها دمشق خير منازل المسلمين يومئذٍ)[٢٣] صحيح، والفسطاط: المدينة التي فيها مجتمع الناس.

---

[١٩] حديث صحيح أخرجه أبو نعيم (١٣٣/٦) وابن عساكر ورواه الطبراني في الكبير من طريق أخرى عن ابن عمر وسنده صحيح أيضاً. وأخرجه أحمد مختصراً (١٤٣/٢) بلفظ قال: رأيت رسول الله ﷺ يشير بيده يؤم العراق: " إن الفتنة ها هنا، (ثلاث مرات). من حيث يطلع قرن الشيطان " وإسناده صحيح — فضائل الشام.

[٢٠] البخاري (٣٨/١٣) بشرح العسقلاني.
وأحمد (١١٨/٢) وابن عساكر من طريق نافع عن ابن عمر.

[٢١] شرح كتاب " الفتن " من فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ العسقلاني.

[٢٢] صحيح رواه أبو داود وأحمد بسند صحيح وقد سبق الكلام فيه.

وحديث آخر عن فضل الشام عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: (سيكون هجرة بعد هجرة، فخيار أهل الأرض ألزمه مهاجر إبراهيم، ويبقى في الأرض شرار أهلها تلفظهم أرضوهم، وتقذرهم نفس الرحمن، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير)[٢٤].

فقد أخبر أن خيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم، بخلاف من يأتي إليه ثم يذهب عنه، ومهاجر إبراهيم في الشام[٢٥].

٤) الأرض لا تقدس أحداً:

فهذه الشام عقر دار المؤمنين... وأرض المحشر والمنشر... وفسطاط المسلمين وتجمعهم... وقاعدة انظلاقهم لقتال أعدائهم... والمباركة بنصوص القرآن والسنة.

وها هي تصمد على مر التاريخ أمام حملات التتار، لتهزمهم على أرضها شر هزيمة، وعلى صخورها تحطمت موجات الصليبيين وغيرهم كثير ممن أراد بها شراً، فهذه البلاد يبقى الخير فيها على العموم، وإن جاءت فترات عابرة فهي لا تعدو أن تكون غمام صيف، وينقشع بإذن الله.

وعلى ساكنيها من دعاة المسلمين أن يعرفوا فضل الله عليهم، ويقوموا بالواجب... وينتظروا دورهم، ويعدوا له، ولا يغتر ساكنوها من العصاة أنهم على خير، فالأرض لا تقدس أحداً، إنما يقدس الإنسان عمله، كما قال سلمان الفارسي في رواية عن مالك.

وإن كان لنا كلمة لهؤلاء العصاة، فعليهم أن يعودوا إلى دينهم وربهم، ويتركوا ما يناقض ذلك... ويعلموا أن بذلك سعادتهم في الدنيا والآخرة... ومآلهم إلى النصر والتمكين... وليكونوا على عدوهم ظاهرين...

---

[٢٣] حديث صحيح أخرجه أبو داود (٢/٢١٠) والحاكم (٤/٤٨٦) وأحمد (٥/١٩٧) وقال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. وأقره المنذري (٤/٦٣). ويقول الشيخ ناصر: هو كما قالوا... فضائل الشام.

[٢٤] الإمام أحمد (١١/٩٩ ح، ٦٨٧١)
قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.
وسنن أبي داود في عون المعبود (٧/١٥٨ ح، ٢٤٦٥).

[٢٥] مناقب الشام، ابن تيمية رحمه الله.

وإن بقي هؤلاء العصاة على ما هم عليه من فساد وفجور وكفر، و لم ينكر عليهم غيرهم... فسوف يطهر الله هذه الأرض المباركة، ويستبدلهم بقوم غيرهم يحبهم ويحبونه أعزة على الكافرين، لا يخافون في الله لومة لائم، ليستأنفوا جهادهم ضد الكفر وأهله، ويكونوا هم الطائفة المنصورة التي ستكون أكثر ما تكون في الشام، كما سنرى في المبحث التالي.



المبحث الثالث
صانعو الأحداث

الطائفة المنصورة فسطاط إيمان:

لا يزال هذا الدين يتجدد رغم كل محاولات الطمس والوأد قديماً وحديثاً، ولن تخبو جذوته إن شاء الله، بل ستزداد اشتعالاً ونوراً، وما زلنا نعيش ونرى عودة الناس إلى دين الله جل وعلا.

فالله سبحانه وتعالى، هو الذي تكفل بحفظ هذا الدين، ونصره... وجعل ذلك سبحانه وتعالى على أيدي المسلمين أنفسهم... فعن أبي عتبة الخولاني، وكان قد صلى القبلتين مع رسول الله ﷺ... قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرساً، يستعملهم في طاعته)[٢٦].

وها هي أحاديث الطائفة المنصورة التي تدل على وجودها واستمراريتها إلى يوم القيامة، حتى بلغت درجة التواتر، ففي صحيح مسلم: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتر أمر الله وهم على ذلك)[٢٧].

وفي بعض روايات هذا الحديث "أهل الغرب" أي الشام. كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث يقول: (وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل قال: وهم بالشام).

وفي تاريخ البخاري مرفوعاً قال: (وهم بدمشق).

وفي صحيح مسلم - عن النبي ﷺ -: (لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة)[٢٨]، على اعتبار أن أهل الغرب هم أهل الشام.

كما قال الإمام أحمد.

---

[٢٦] صحيح ابن ماجة – باب اتباع سنة الرسول ﷺ المجلد ١/حديث رقم ٨ – حسن –.

[٢٧] مسلم شرح النووي – كتاب الإمارة (٣٣) باب (٥٣) قوله ﷺ: " لا تزال طائفة " حديث رقم ١٧٠ (١٩٢٠).

[٢٨] مسلم بشرح النووي – كتاب الإمارة (٣٣) باب (٥٣) " لا تزال طائفة " رقم ١٧٧ – (١٩٢٥).

والإمام ابن تيمية رحمه الله: (أن أهل الشام هم أهل المغرب من وجهين:

الأول: ورد ذلك صراحة في بعض الأحاديث.

الثاني: أن لغته ﷺ وأهل مدينته في أهل الغرب أهم أهل الشام ومن يغرب عنهم، كما أن لغتهم في "أهل المشرق" هم أهل نجد والعراق، فإن المغرب والمشرق من الأمور النسبية، فكل بلد له غرب وقد يكون شرقاً لغيره، وله شرق قد يكون غرباً لغيره، ويكون الاعتبار في كلام النبي ﷺ لما كان غرباً وشرقاً له حيث تكلم بهذا الحديث، وهي المدينة.

وكان أهل المدينة يسمون الإمام الأوزاعي "إمام الدار الشامية" إمام أهل المغرب ويسمون "الثوري" شرقياً من أهل الشرق، على اعتبار أنه أمير المؤمنين في الحديث – وولد في الكوفة وتوفي في البصرة –) انتهى كلام شيخ الإسلام[٢٩].

وأخرج الطيالسي في مسنده عن شعبة عن معاوية مرفوعاً: (إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة) حديث صحيح[٣٠].

وعن جابر بن سمرة عن النبي ﷺ إنه قال: (لن يبرح هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من المسلمين، حتى تقوم الساعة)رواه مسلم[٣١].

ومن هذه الأحاديث ما صح عن معاية أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس)[٣٢].

وزاد أحمد فقام مالك بن يخامر السَّكْسي فقال: (يا أمير المؤمنين سمعت معاذ بن جبل يقول: وهم أهل الشام، فقال معاوية – ورفع صوته –: هذا مالك يزعم أنه سمع معاذاً يقول: وهم أهل الشام).

---

[٢٩] مناقب الشام وأهله، ابن تيمية.

[٣٠] إسناده صحيح. الترمذي (٣٠/٢) قال حديث حسن صحيح، وأحمد (٤٣٦/٣ و ٣٥/٥) وروى ابن ماجة (٦/١ – ٧) الشطر الثاني، وأبو نعيم (٢٣٠/٧ – ٢٣١) والخطيب (٨ ٤١٢)، ٤١٨) و (١٨٢/١٠) الشطر الأول – فضائل الشام.

[٣١] مسلم – كتاب الإمارة (٣٣) باب (٥٣) حديث رقم ١٧٢ – (١٩٢٢).

[٣٢] مسلم – كتاب الإمارة – باب " لا تزال طائفة من أمتي " رقم الحديث/١٠٣٧/.

وأخرج البخاري في كتاب المناقب - باب ٢٩ رقم/ ٣٦٤١/ عن الوليد بن مسلم نحوه وفيه الزيادة.

وفي رواية: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على مَنْ ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال)[٣٣].

وفي رواية: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة. قال: فيترل عيسى بن مريم عليه السلام فيقول أميرهم: تعال صل لنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة)[٣٤].

وفي رواية: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس يزيغ الله قلوب أقوام يقاتلونهم، ويرزقهم الله منهم حتى يأتي أمر الله عز وجل وهم على ذلك، ألا إن عقر دار المؤمنين الشام، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة)[٣٥].

وفي رواية: (لا تزال طائفة من أمتي قوامةً على أمر الله لا يضرها من خالفها)[٣٦].

(لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق حتى يأتي أمر الله)[٣٧].

وهذه نصوص صريحة تؤكد أن الطائفة المنصورة من أمة محمد ﷺ تنافح عن هذا الدين، تارة بالسيف، وتارة بالقلم، وتارة باللسان، لا يضرها من خذلها أو خالفها ظاهرة على من أراد طمسها أو النيل منها... والذي يبدو أن هذه الطائفة تتجمع وتتبلور أكثر من ذي قبل، وتزداد شوكتها يوماً بعد يوم... وتتواجد أكثر ما تتواجد في بلاد الشام لتقاتل أعداء الدين حتى يقاتل آخرها المسيح الدجال.

وهذا لا يمنع من وجود هذه الطائفة أو امتدادها في بلاد المسلمين وخاصة مكة والمدينة والتي تعد مسرحاً للأحداث الساخنة أيضاً. وكما سيأتي قسم من هذه الطائفة من المشرق يؤيد الله به هذا الدين وكذلك من أماكن شتى حتى تتجمع وتتقوى وتنطلق.

[٣٣] قال الحاكم – " صحيح على شرط مسلم " ووافقه الذهبي أخرجه أبو داود (١/٣٨٨ – ٣٨٩).
[٣٤] مسلم – كتاب الإيمان – باب نزول عيسى " ابن مريم رقم/١٥٦/.
[٣٥] أخرجه أحمد (٤/١٠٤) السلسلة ١٩٦١.
[٣٦] أخرجه ابن ماجة (١/٧) من طريق أبي علقمة.
[٣٧] سلسلة الأحاديث الثحيحة (١٩٥٨). أخرجه الطيالسي (ص ٩٤ رقم ٦٨٩).

ومن صفات هذه الطائفة أنها على اتباع الكتاب والسنة، على فهم السلف الصالح. وهي مجاهدة في سبيل الله، والجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة... وهي توالي وتعادي في الله... وهي تأخذ الإسلام ككل بوسطية واعتدال، وهذه الطائفة ستكون مع المهدي. ومع عيسى عليه السلام ومه كل خيّر ينصر هذا الدين في فسطاط واحد. فسطاط الإيمان الذي لا نفاق فيه، في مقابل: فسطاط النفاق الذي لا إيمان فيه وقوامه من المنافقين والمرتدين واليهود والنصارى ومن تبعهم... وعلى رأسهم الدجال...

وهذا ما يشهد به حديث الرسول ﷺ... فعن عبد الله بن عمر قال: كنّا قعوداً عند الرسول ﷺ فذكر الفتن، فأكثر في ذكرها حتى ذكر فتنة الأحلاس. فقال قائل: يا رسول الله وما فتنة الأحلاس؟ قال: (هي هرب وحرب، ثم فتنة السراء دخنها من تحت قدمي، رجل من أهل بيتي يزعم أنه مني وليس مني، وإنما أوليائي المتقون، ثم يصطلح الناس على رجل كَوِرْكٍ على ضلع، ثم فتنة الدهيماء، لا تدع أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمة! فإذا قيل: انقضت تمادت، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، حتى يصير الناس إلى فسطاطين: فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه فإذا كان ذاكم، فانتظروا الدجال من يومه أو غده) صحيح أبو داود[٣٨].

فالتمايز بين الحق والباطل يزداد ويتبلور على مر الأيام، وهذا يُلمس من وضوح رؤى المسلمين يوماً بعد يوم بالحرص على التفقه في الدين والواقع... ليكونوا فسطاط الإيمان في مواجهة فسطاط النفاق. ويُلمس من خلال هذه الصحوة المباركة السائرة بنور العلم وسلاح العمل إذ لا تدخر جهداً، لتكون مع الطائفة المنصورة بإذن الله... وذلك رغم بعض الانتكاسات... إلا أنّها عموماً – ولله الحمد – تُغربلها الأيام وتصقلها التجارب... وماضٍ فيها قدر الله... حتى تؤدي دورها المكتوب – ومن خلال دراسة نصوص الطائفة هذه، نجد – ولله الحمد – أنها ظاهرة على الحق، تقاتل عليه، وهي قائمة على أمر الله... لا يضرها من خذلها أو خالفها...

وإن دلت هذه النصوص على شيء، فإنما تدل من جملة دلالتها على شمولية الدعوة إلى الله تعالى... من علم وعمل و جهاد وقتال... تتفاعل مع الأحداث كلٍ حسب ما يناسبه، فلا علم بلا عمل، ولا عمل بلا علم، ولا جهاد بلا فقه، ولا فقه بلا جهاد وقتال... ولا يختلف على ذلك اثنان... فقد كان سلفنا الصالح رهباناً في الليل وفرساناً في

[٣٨] أخرجه أبو داود (٢/٢٠٠) والحاكم (٤/٤٦٧) وأحمد (٢/١٣٣) وقال الحاكم: صحيح الإسناد. وكورك على ضلع، كناية عن عدم الاستقرار والثبوت أي أن حكم هذا الرجل غير مستقر وهو ليس خليقاً للملك ولا يستقيم له.

النهار... ما سمعنا بهذه التخصصات المستحدثة في سيرهم رضي الله عنهم... هذا للدعوة فقط، وذاك للانقطاع للعبادة وآخر يقاتل ولا يدري... عن الإعداد والعدة والوقت المناسب...هذا عدا المتفرغين للعلم، ولا يدرون ما يجري خلف جدرانهم – بل شغلتهم تجارة كتبهم وخلافاتهم... فلا بد – حتى نكون مع الطائفة المنصورة – أن نعيد قراءة أحاديثها، ونتلمس خطاها من خلال دراسة الماضي واستشراف المستقبل... ولا نمني أنفسنا بأننا منها دون تلمس خطاها والسير في طريقها.

والله الموفق[٣٩].



[٣٩] قمت بجمع عشرة أحاديث صحيحة لهذه الطائفة المنصورة فوجدت:
أربعة أحاديث على أنها ظاهرة على الحق.
ثلاثة أحاديث على أنها تقاتل عليه.
ثلاثة أحاديث على أنها قائمة على أمر الله.
وفي معظمها أنه لا يضرها من خذلها أو عاداها أو ناوأها، وبذلك طمأنة للسائرين على هذا الطريق بأن الله معهم، ولله الحمد.

المبحث الرابع
مصير المدنيّة والعودة إلى البداية

ظهور الدين... والواقع الحالي:

إن الناظر إلى واقع الأمم، في هذه الأيام، وما وصلت إليه دول الكفر من القوة والعلو المادي، في كافة المجالات... وما عليه المسلمون من تخلف وضعف، يبعث على التساؤل، كيف سيظهر المسلمون على الدين كله، ويبلغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار... مع هذا الفارق الكبير...؟

فقد قال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} [الصف: ٩].

والإسلام لم يظهر على الدين كله حتى الآن وهو سوف يظهر - وقد قال رسول الله ﷺ: (إن الله زوى - أي جمع وضم - لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها)[٤٠].

وقال ﷺ: (ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، يعز عزيز أو ذل ذليل، عزّاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر)[٤١].

ومثل هذا الانتشار للدين لم يتحقق من قبل ذلك، وهو سيأتي، إن شاء الله، على أيدي الطائفة المنصورة، وقد أخبر ﷺ فقال: (بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وبينا أنا نائم أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض، فوضعت في يدي).

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: (فذهب رسول الله ﷺ، وأنتم تنتشلونها، متفق عليه)[٤٢].

[٤٠] رواه مسلم، حديث رقم ١٩ - (٢٨٨٩) باب/٥/هلاك هذه الأمة كتاب الفتن ٥٢ - مسلم بشرح النووي.
[٤١] ابن حبان في صحيحه (١٦٣١، ١٦٣٢).
[٤٢] حديث رقم (٦ - ٥٢٤) كتاب ٥ المساجد ومواضع الصلاة، مسلم - نووي.

وليس ذلك ببعيد، فقد أخبر رسول الله ﷺ بمراحل تمر بها هذه الأمة، ونحن في مراحلها الأخيرة، فقد قال ﷺ: (تكون النبوة فيكم، ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها... ثم تكون ملكاً عاضاً، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهج النبوة، ثم سكت) رواه أحمد وغيره[٤٣].

ونحن الآن في مرحلة "الملك الجبري" القهري... ولن يكون بعدها بإذن الله إلا الخلافة على منهج النبوة، نسأل الله سبحانه وتعالى الفرج القريب والثبات على الحق مع الطائفة المنصورة.

فكل هذه النصوص تؤكد على ظهور الدين وقهره لمن حوله، على الرغم من علو الكفار وتقدمهم وضعف المسلمين وتأخرهم، وإذ بقي الأمر إلى هذا الحد، فلا غرابة كيف يحصل ذلك؟... ولكن من خلال استقراء نصوص الجهاد والقتال في آخر الزمن، نرى أن الرسول ﷺ يذكر الأدوات والأسلحة والوسائل، هي نفسها التي كانت على زمانه ﷺ من سيوف ورماح ونبال وخيول... فكيف يمكن أن يحصل ذلك مع هذا الفارق الكبير بقدرات الأسلحة القديمة.

وكذلك في صحيح مسلم يقول ﷺ حين سئل عن الخيل: (الخيل ثلاثة، هي لرجلٍ وزر، وهي لرجل ستر، وهي لرجلٍ أجر، فأما التي هي وزر، فرجل ربطها رياءً وفخراً ونواءً على أهل الإسلام - أي عداءً - فهي له وزر... وأما التي هي ستر... فرجل ربطها في سبيل الله، ثم لم ينس حق الله في ظهورها ولا رقابها، فهي له ستر... وأما التي هي له أجر، فرجل ربطها في سبيل الله، لأهل الإسلام، في مرج وروضة، فما أكلت من ذلك المرج أو الروضة من شيء إلا كتب له عدد ما أكلت حسنات، وكتب له عدد أرواثها وأبوالها حسنات، ولا تقطع طِوَلها فأسدَنت شرفاً أو شرفين - أي تفلتت من عقالها وجرت وصعدت - إلا كتب الله له عدد آثارها وأرواثها حسنات، ولا مَرَّ بها صاحبها على نهر، فشربت منه، ولا يريد أن يسقيها، إلا كتب الله له عدد ما شربت حسنات)، قيل: يا رسول الله، فالحُمُر؟ قال: (ما أُنزل عليّ في الحمر شيء إلا هذه الآية الفاذّة الجامعة

[٤٣] رواه أحمد (٢٧٣/٤) وعن طريقه رواه الحافظ العراقي في محجة القرب إلى محبة العرب، (١٧/٢) وقال: هذا حديث صحيح.
وقال الهيثمي في " المجمع " (١٨٩/٥): رواه أحمد والبزار.

{فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ}) [من حديث طويل في مسلم كتاب الزكاة: (١٢) (باب ٦) إثم مانع الزكاة ح ٢٤ – ٩٨٧].

وفي البخاري قال ﷺ: (البركة في نواصي الخيل)[٤٤]، (والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة والأجر والمغنم)[٤٥].

أورد السيوطي في الجامع بلفظ: (عليك بالخيل، فإن الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة)، وقال: (رواه الطبراني الضياء عن سواده بن الربيع) [الطبراني في الكبير انظر (٦٤٨٠) السلسلة].

وقد قال رسول الله ﷺ: (الخير معقوص بنواصي الخيل)، قال: فقيل له يا رسول الله ثم ذاك؟ قال: (الأجر والمغنم إلى يوم القيامة)[٤٦].

وفي رواية: (البركة في نواصي الخيل)[٤٧].

وفي البخاري: (الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة).

(الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة)[٤٨].

وفي صحيح سنن النسائي، يروي مسلمة بن نفيل الكندي، قال: كنت جالساً عند رسول الله ﷺ، فقال رجل: يا رسول الله! أزال الناس الخيل – أي تركوها – ووضعوا السلاح وقالوا: لا جهاد. وقد وضعت الحرب أوزارها! فأقبل رسول الله ﷺ بوجهه وقال: (كذبوا! الآن، الآن جاء القتال، ولا يزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق، ويزيغ الله قلوب أقوام ويرزقهم منهم، حتى تقوم الساعة، وحتى يأتي وعد الله، والخيل معقود في

[٤٤] البخاري – كتاب الجهاد – باب " الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة ". (٦٨٦) حديث رقم (١٠٤٤).
[٤٥] نفس المصدر السابق حديث رقم (١٠٤٥). باب " الجهاد ماض من كل بر وفاجر " (٦٨٧).
[٤٦] حديث رقم ٩٩ – ١٨٧٣ – باب ٢٦ الخيل في نواصيها الخير – كتاب الإمارة (٣٣) مسلم.
[٤٧] نفس المصدر السابق حديث ١٠٠ – ١٨٧٤.
[٤٨] البخاري، ١٠٤٢ – ١٠٤٣ – ١٠٤٤ باب ٦٨٦ – " الخيل معقود في نواصيها " كتاب الجهاد والسير.

نواصيها الخير إلى يوم القيامة...) النسائي[٤٩]، وفي آخر الحديث: (عقر دار المؤمنين بالشام).

وفي تاريخ البخاري حديث: (عليك بالخيل فارتبطها، الخيل معقود في نواصيها الخير)[٥٠].

صدق رسول الله ﷺ فها هي الخيول لم تترك حتى من قبل أحداث الجيوش... وها هي تُستخدم إلى الآن، وخاصة في الجبال والممرات الوعرة والتي لا تستطيع الآليات والإنسان ولا الطائرات المروحية أن تصل وتحمل حملها... وما زالت الفروسية رمز الشجاعة والإباء.

فالمرجح إذاً أن هذه الوسائل والأدوات والأسلحة هي نفسها ستستعمل في الحروب القادمة والقتال بين المسلمين وأعدائهم، وفي ذلك خروج من التساؤل الذي أثير في المقدمة عن الفارق الكبير في القوى المادية لأعداء الإسلام... والمسلمين. وباحتمالات العودة إلى السلاح القديم، ربما تكون الصورة أقرب للوضوح... إذا تساوت الوسائل.

الاحتمالات الواردة:

وإذا كان الأمر كذلك، والمرجح العودة إلى السلاح القديم والوسائل البدائية... فأين تذهب هذه المدنية وهذا الكم الهائل من الترسانات العسكرية...؟... فلا بد من حصول أمر ما... تُدَمر من خلاله هذه القوى، وتعود الأمور إلى البدايات... وهذا من الاحتمالات المرجحة...

ولكني لم أعثر، خلال بحثي، على نص من نصوصنا، يفيد في هذا السياق اللهم إلا إذا أخذ ما ورد عن رسول الله ﷺ من الخسوفات... في هذا الاتجاه...

فقد أخبر ﷺ بأن الساعة لن تقوم "حتى تروا عشر آيات وذكر فيها ثلاثة خسوفات: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف في جزيرة العرب".

[٤٩] إسناده صحيح النسائي (٢/٢١٧ – ٢١٨).
ابن حبان (١٦١٧) أحمد (٤/١٠٤).
البزار في مسنده (١٦٨٩).
[٥٠] أخرجه البخاري في التاريخ (٢/٢/١٨٤) عن سواده بن الربيع بإسناد جيد السلسلة (١٩٣٦).

وفي رواية أم سلمة أنها سمعت النبي ﷺ يقول: (سيكون بعدي خسف بالمشرق وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، قالت: يا رسول الله: أيُخسف وفيها الصالحون؟ قال ﷺ: إذا أكثر أهلها الخبث)، رواه الطبراني في الأوسط.

وفي مسلم عن رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات)، فذكر منها ثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب[٥١].

وهنالك نص آخر في صحيح مسلم - كتاب الفتن، ربما جاء في هذا السياق...

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (منعت العراق درهما، وقفيزها، ومنعت الشام مديها ودينارها، ومنعت مصر إردبها ودينارها، وعدتم من حيث بدأتم، وعدتم من حيث بدأتم، وعدتم من حيث بدأتم، شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه)[٥٢].

وهذا كناية عن التمنع عند دفع الزكاة وغيرها، لعودة البلاد هذه إلى المرتدين... وقيل غير ذلك.

أما العودة من حيث بدأتم... فهو الشر... بعد الخير... وربما عودة الأمور إلى ما كانت عليه سابقاً...

والله أعلم...

وأما عن التوقعات في مصادر اليهود والنصارى ومن خلال قراءتهم للمستقبل، مضافاً إلى ما ورد في بعض النصوص المحرفة...

فعندهم أن صراعاً عالمياً سيحدث قريباً، يأتي على هذه المدَنيَّة وعلى أكثر أهل الأرض... وتستعمل فيه الأسلحة ذات التدمير الشامل (نووية - كيماوية بيولوجية) يتورط فيه العالم أجمع، ويبدأ من الشام - وتحديداً من فلسطين - ثم ينزل المسيح عليه السلام، ويبدأ صراعاً مع أعدائه يأجوج ومأجوج[٥٣].

[٥١] صحيح مسلم – شرح النووي = رقم (٢/١٨ – ٢٨) كتاب الفتن.
[٥٢] مسلم – كتاب الفتن باب ٨ حديث ٢٨٩٦/٣٣.
[٥٣] النبوءة والسياسة تأليف: غريس هالسل، ترجمة، محمد السماك.

ونحن إن كنا لا نقف طويلاً عند مصادرهم المحرفة ودراساهم التي تجيِّر كل شيء لصالحهم.

إلا أننا نرجح أن صراعاً عالمياً يمكن أن يأتي على هذه المدنيَّة بتدميرها، وتعود إلى سابق عهدها... ولا يستبعد أبداً... بل يغلب على الظن أن اليهود، وبسببهم، سيكون ذلك، وربما سيكونون أول من يستعمل هذه الأسلحة في المنطقة... لما يخبئون من ترسانة نووية كبيرة وما يعانون من عقدة الخوف على وجودهم وكيالهم... ونهايتهم على أيدي المسلمين يعرفونها تماماً[٥٤]. ونعرفها نحن كذلك من خلال القرآن الكريم[٥٥] والأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ[٥٦]. وما تجمعهم في فلسطين وعلوهم إلا مقدمة لنهايتهم وتحقيق وعد الله فيهم.

لذلك لن يتخلَّوا عن قوهم وخياراهم العسكرية - خاصة النووية منها - ليس ذلك لتثبيت وجودهم... بل ليحرقوا كل شيء قبل أن يحترقوا، والمسألة مسألة وقت فقط... وما حركات السلام المزعومة والتطبيع إلا حركات نزع أخير[٥٧].

وما تعامل أحدٌ معهم وأفلح، لا في القديم، ولا في الحاضر، ولا حتى في المستقبل... وإن كان ذلك ليس مدار البحث...

بل الشاهد... أننا نركز على أهم يسعون لحرق العالم حقيقة، ويسيرون في هذا الطريق... بعد أن أحرقوه بفسادهم وخبثهم... وفي المقابل... والبلاء يعم.

فقد سألت أم المؤمنين رسول الله ﷺ: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: (نعم إذ كثر الخبث)[٥٨].

---

[٥٤] صرح أكثر من مسؤول يهودي بذلك وقالوا إن نهايتهم على أيدي المسلمين موجودة في كتبهم، ويعرفونها تماماً ولكنهم يربطونها بقدوم المسلمين الحقيقيين...!
وبعض الحاخامات ربط ذلك بمرور مراحل قبل هذا الذبح النهائي... ومنها مرحلة... المهادنة...!

[٥٥] الإسراء الآيات ٤ – ٨ وكذلك الآية ١٠٤ (وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرائيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً) [١٠٤].

[٥٦] سيرد ذكرها إن شاء الله.

[٥٧] انظر انتحار شمشون – حسني إبراهيم الحايك.

[٥٨] مسلم – شرح النووي – كتاب الفتن، حديث/٢٨٨٠/.

وما أكثره الآن... فقد أعرض الناس عن شريعة ربهم بل وحُورب الله ورسوله... حتى غدا الدعاة إلى الله يتوارون كما كان المنافقون يتوارون على عهد رسول الله ﷺ... وهذا والله لا يرضي الله تعالى... فانتظروا... الانتقام والعقوبة... حتى تتطهر الأرض من الآمرين بالمنكر... والساكتين عن الحق.



المبحث الخامس
الأحـــــــــــداث

مرحلة ما قبل المهدي:

كنا قد أشرنا إلى أننا نعيش الأيام الأخيرة من عمر الزمن، وأن أشراط الساعة قد حصل بعضها وانتهى، ويحصل الآن ما بقي من الأشراط ويزداد... وأشراط قليلة باقية تنتظر الوقت. وهي ما سنحاول إن شاء الله الحديث عنها من خلال ما بأيدينا من نصوص... وسوف لن نتوسع في شرح كل حادثة بعينها، لأن ذلك يمكن الرجوع إليه في كتب متخصصة بأشراط الساعة، ولكن سنحاول رسم خريطة الأحداث وتسلسلها المحتمل، لنستكمل صورة تقريبية لما سيستجد من أمور. كما أننا لن نتكلم عمّن ردّ أو أوَّل هذه الأحداث، لأن أحاديث الفتن والملاحم في آخر الزمن أحاديث صحيحة ثابتة، بعضها متواتر كما سيتبين ذلك في مواطنه ونُسلِّم بها كما جاءت وأخبر بها ﷺ.

والذي يبدو من خلال الجمع بين الأحاديث والآثار التي جاءت عن بداية الأحداث، أن الدين يزداد غربة، وتُملأ الدنيا ظلماً وجوراً، وما من يوم يأتي إلا الذي بعده شر منه، حتى يضجر الناس، ويكون الدمار الذي سبق وأن ذكر.

وهذا لا يمنع من فترات أفضل من غيرها وأقل وطأة على المسلمين... وربما كان حكم القحطاني كذلك... فقد قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان، يسوق الناس بعصاه)[٥٩].

ويقول القرطبي: قوله: ("يسوق الناس بعصا" كناية عن استقامة الناس وانعقادهم إليه واتفاقهم عليه، و لم يرد نفس العصا وإنما ضرب بها مثلاً) [التذكرة].

وهناك بعض الآثار عن صلاحه... وقيل عكس ذلك وخاصة أن الأمور تزداد سوءا والله أعلم... وهو كذلك غير " جهجاء " الذي قال فيه رسول الله ﷺ: (لا يذهب الليل

---

[٥٩] البخاري – كتاب الفتن – باب تغير ذالزمان حتى تعبد الأوثان (٧٦/١٣).
مسلم – كتاب الفتن وأشراط الساعة (٣٦/١٨).
أحمد ١٠٣/١٨ ح ٩٣٩٥ شرح أحمد شاكر.

والنهار حتى يملك رجل يقال له جهجاه) [مسلم]، وفي رواية أنه من الموالي... عند أحمد[٦٠].

ومما يزيد من الفتن في هذه المرحلة انحسار نهر الفرات عن جبل من ذهب، كما في البخاري عن أبي هريرة عنه قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب، يقتتل الناس عليه فيقتل من كل مئة تسع وتسعون، ويقول كل رجل منهم لعلي أن أكون أنا الذي أنجو)[٦١].

وفي رواية مسلم: (يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً)[٦٢].

فهذه الفتن والاقتتال والضيق تجعل المسلمين بأشد الحاجة إلى منقذ ويكون الجو مهيئاً لقبوله ونصره ورحمة الله بعباده ييسر هذا المنقذ... ليملأها قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً.

ظهور المهدي:

والوقت الذي يظهر فيه ربما كان عند موت خليفة واقتتال ثلاثة من أبنائه عند الكعبة، كما في بعض الأحاديث.

والأحاديث الواردة في المهدي بلغت درجة التواتر صرح بذلك كثير من العلماء[٦٣]، وكذلك جاءت أحاديث في الصحيحين منوهة إليه، دون ذكر اسم المهدي، منها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم)[٦٤].

---

[٦٠] مسند أحمد ١٥٦/١٦ ح ٨٣٤٦ شرح وتعليق أحمد شاكر وقال إسناده صحيح – مسلم ٣٦/١٨ بدون لفظ: من الموالي...

[٦١] البخاري – كتاب الفتن – باب خروج النار (٧٨/١٣).

[٦٢] مسلم – كتاب الفتن وأشراط الساعة (١٩/١٨).

[٦٣] الحافظ أبو الحسن الآبري، محمد البرزخي، محمد السفاريني، الشوكاني، صديق حسن خان، محمد بن جعفر الكتاني.
انظر أشراط الساعة – يوسف الوابل ص ٢٠٠ – ٢٠٣.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة. قال فيترل عيسى ابن مريم عليه السلام فيقول أميرهم: تعال صل لنا. فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة)[٦٥].

وفي رواية يقول: (أميرهم المهدي) - كما ذكر ابن القيّم في "المنار المنيف" [ص: ١٤٧ – ١٤٨، وقال: هذا إسناد جيد].

وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: (ويكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثياً لا يعُدّه عدد)، قال الجريري - أحد رواة الحديث -: (قلت لأبي نضرة وأبي علاء: أتريان أنه عمر بن عبد العزيز؟ قالا: لا)[٦٦].

فأحاديث الرسول ﷺ تكمل بعضها البعض... ويفسر أحدها الآخر.

فقد جاءت أحاديث صحيحة أخرى في كتب السنن تصرح بأن ذلك الأمير هو المهدي، وإليك بعضها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (منّا الذي يصلي عيسى بن مريم خلفه)[٦٧].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (لا تذهب أو لا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي)[٦٨].

وفي رواية: (يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي)[٦٩].

---

[٦٤] البخاري – كتاب أحاديث الأنبياء – باب نزول عيسى بن مريم عليه السلام، ٤٩١/٦ – ومسلم كتاب الإيمان – باب نزول عيسى ابن مريم ١٩٣/٢.

[٦٥] مسلم – ك الإيمان – باب نزول عيسى عليه السلام ١٩٤/٢.

[٦٦] مسلم – كتاب الفتن وأشراط الساعة – ٣٨/١٨ – ٣٩.

[٦٧] قال الألباني: صحيح لأنه جاء مفرقاً في أحاديث السلسلة/المجلد الخامس ٢٢٩٣.

[٦٨] مسند أحمد ١٩٩/٥ ح ٣٥٧٣ تحقيق أحمد شاكر وقال: " إسناده صحيح ". الترمذي ٤٨٥/٦ وقال: " هذا حديث حسن صحيح ". وسنن أبي داود ٣٧١/١١.

[٦٩] سنن أبي داود ٣٧٠/١١ قال الألباني: صحيح.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث وتخرج الأرض نباتها... ويعطيه المال صحاحاً – بالتسوية - وتكثر الماشية وتعظم الأمة، يعيش سبعاً أو ثمانياً يعني حججاً)[٧٠].

وقال ﷺ في حديث آخر: (أبشركم بالمهدي يبعث على اختلاف من الناس، وزلازل، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، يقسم المال صحاحاً. وقال له رجل: ما صحاحا؟ فقال: بالسوية بين الناس، قال: ويملأ الله قلوب أمة محمد ﷺ غنى، ويسعهم عدله حتى يأمر منادياً ينادي فيقول: من له في مالٍ حاجة؟... الحديث)، من حديث طويل في مسند الإمام أحمد[٧١].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال ﷺ: (المهدي مني أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً يملك سبع سنين) [سنن أبي داود][٧٢].

(أجلى)؛ متسع، (أقنى)؛ مرتفع وسط القصبة وضاق منخراه.

ومع بداية ظهوره وتألف الناس حوله... لا يروق الأمر للظلمة والطواغيت كعادتهم ولا يحبون أن تملأ هذه الدنيا قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً... ويظنون أنهم قادرون عليه فيُرسل له جيش من الشمال - شمال مكة - ولكن الله سبحانه وتعالى يخسف الأرض بهذا الجيش ببيداء بين المدينة ومكة.

فقد جاء في رواية عائشة رضي الله عنها قالت: (عبث رسول الله ﷺ في منامه فقلت: يا رسول الله، صنعت شيئاً في منامك لم تكن نفعله. فقال: العجب أن ناساً من أمتي يؤمون البيت برجل من قريش، قد لجأ بالبيت، حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم. فقلت يا رسول الله: إن الطريق قد يجمع بين الناس... قال نعم. فيهم المستبصر – المستبين

صحيح الجامع الصغير ٥/٧٠ – ٧١ ح ٥١٨٠.

[٧٠] مستدرك الحاكم ٤/٥٥٧ – ٥٥٨ وقال هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه. ووافقه الذهبي.
وقال الألباني: " هذا سند صحيح رجاله ثقات " السلسلة مجلد ٢/٧١١.

[٧١] مسند الإمام أحمد ٣/٣٧ مع منتخب الكنز.
قال الهيثمي: رواه الترمذي باختصار وأحمد بأسانيد وأبو ليلى ورجالهما ثقات مجمع الزوائد ٧/٣١٣ – ٣١٤.

[٧٢] أبي داود ١١/٣٧٥ ح/٤٢٦٥ والحاكم ٤/٥٥٧ وقال حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه. وقال الألباني: إسناده حسن/صحيح الجامع ٦/٢٢ – ٢٣ ح ٦٦١٢.

– والمجبور، وابن السبيل يهلكون مهلكاً واحداً، ويصدرون مصادر شتى يبعثهم الله على نياتهم) رواه مسلم[٧٣].

وعن أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ قال: (سيتعوذ بهذا البيت – أي الكعبة – قوم ليست لهم منعة ولا عدد ولا عدة. يبعث إليهم جيش حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم)[٧٤].

وفي رواية أخرى لمسلم عن رسول الله ﷺ قال: (يعوذ عائذ بالبيت، فيبعث إليه بعث. فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم، قالت أم سلمة: فقلت؛ يا رسول الله فكيف بمن كان كارهاً؟... قال: يخسف به معهم، ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته)[٧٥].

وفي البخاري: (يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم... الحديث)[٧٦].

وما أن يتم الخسف حتى ينتشر أمر المهدي عليه السلام، ويعرف الناس أنه مؤيد من الله سبحانه وتعالى، ويستتب له الأمر، ويبدأ الإصلاحات الداخلية وإعادة الحقوق للناس وتوزيع المال بالتساوي والعدل... حتى يعيش الناس أسعد الأوقات... ولكنهم لا يضيعوا دينهم ودعوتهم، بل يبادروا إلى إعداد العدة للجهاد ونشر الدعوة في كافة الأرض... فيغزون فارس والهند والروم واليهود...

قتال الروم:

وبما أن الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة... وما تركه قوم إلا ذلوا، يتحرك المهدي مع الطائفة المنصورة المتواجدةً في مكة والمدينة باتجاه دمشق، ليلتقي هناك مع بقية الطائفة المنصورة لتشكل دمشق قاعدة انطلاقهم لغزو أعداء الدين، ويبدؤوا ذلك بقتال مشترك بين السلمين والروم من جهة وعدو من ورائهم من جهة أخرى، وربما كانت إحدى الدول الإلحادية مثل روسيا الآن أو الصين أو أية قوة أخرى... ويكون بين الروم والمسلمين كما ذكرنا صلح أو هدنة.

[٧٣] حديث (٢٨٨٤/٨) باب (٢) الخسف.
كتاب الفتن (٥٢) مسلم.

[٧٤] مسلم – الفتن – باب الخسف.

[٧٥] حديث (٤ – ٢٨٨٢) باب (٢) الخسف بالجيش الذي يؤم البيت – كتاب الفتن (٥٢) مسلم.

[٧٦] البخاري – ٣٤ كتاب البيوع: ٤٩ باب ما ذكر في الأسواق.

كما ورد في الحديث الصحيح: (تصالحون الروم صلحاً آمناً، وتغزون أنتم وهم عدواً من ورائهم... ثم تنزلون بمرج ذي تلول... فيقوم رجل من الروم، فيرفع الصليب ويقول: غلب الصليب. فيقوم عليه رجل من المسلمين فيقتله، فيغدر الروم، وتكون الملاحم، ويجتمعون لكم، فيأتون لكم في ثمانين غاية ومع كل غاية عشرة آلاف)[٧٧]، (الغاية)؛ الراية.

وفي صحيح مسلم حديث بنفس السياق، عن يسير بن جابر قال: (هاجت ريح حمراء بالكوفة، فجاء رجل ليس له هجيري – مشغول بنداء عبد الله – ألا يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة، قال: وكان متكئاً فقال: إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث، ولا يفرح بغنيمه، ثم قال: بيده هكذا ونحّاها نحو الشام. عدوٌ يجمعون لأهل الإسلام، ويجمع لهم أهل الإسلام. قلت: الروم تعني؟ قال: نعم... ويكون عند ذاكم القتال ردة شديدة، فيشترط المسلمون شرطة – مقدمة الجيش – للموت، لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كلهم غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت، لا ترجع إلا غالبة... فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب، ثم تفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت، لا ترجع إلا غالبة... فيقتتلون حتى يمسوا، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب، وتفنى الشرطة، فإذا كان يوم الرابع ينهض إليهم بقية أهل الإسلام فيجعل الله الدبرة عليهم – الهزيمة – فيقتتلون مقتلة لا يرى مثلها... أو لم ير مثلها، حتى إن الطائر لَيمر بجنباتهم فما يخلفهم حتى يخر ميّتاً... فيتعادّ بنو الأب كانوا مئة فلا يجدون بقي منهم رجل إلا الرجل الواحد، فبأي غنيمة يفرح أو أي ميراث يقاسم، فبينما هم كذلك إذ سمعوا بيأس هو أكبر من ذلك، فجاءهم الصريخ، أن الدجّال قد خلفهم في ذراريهم فيرفضون ما في أيديهم، ويقبلون فيبعثون عشرة فوارس طليعة، قال ﷺ: "إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ")[٧٨].

وفي رواية أخرى لمسلم: (لا تقوم لساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق – وهي قرية قرب حلب في الشام – فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذٍ، فإذا تصافوا، قالت الروم: خلّوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلّي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب الله

[٧٧] أبو داود – كتاب الملاحم – باب ما يذكر من ملاحم الروم ٢/٤٢٥.
[٧٨] مسلم – ٢٤/١٨ – ٢٥ كتاب الفتن وأشراط الساعة.

عليهم أبداً، ويقتل ثلث هم أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث لا يفتنون أبداً... فيفتحون القسطنطينية... الحديث)[٧٩].

وهذه المعركة هي الملحمة الكبرى التي يقودها المهدي عليه السلام مع الطائفة المنصورة، ضد الروم وينتصروا عليهم...

ومن سياق الحديث عن هذه المعركة يبدو أن مسلمين من أصل رومي تقاتلوا مع قومهم الذين بقوا على نصرانيتهم، وانتصروا عليهم، وسبوا منهم، وانحازوا تجاه جيش المسلمين ليجتمعوا في غزو القسطنطينية، أو أن أتراكاً علمانيين متحالفين مع الروم يتتبعون أتراكاً مسلمين وقع بينهم معركة، انحاز المسلمون الأتراك إلى إخوانهم المسلمين العرب أصحاب الشوكة. فتكون هذه المعركة بين الروم والأتراك العلمانيين من جهة والمسلمين من أصل عربي وتركي من جهة أخرى، وهي من حيث المكان تقع على حدود سوريا مع تركيا الآن، وهذا احتمال وارد... آخر غير الأول... ولا يعارضه... والله أعلم... وتكون دمشق في ذلك الوقت فسطاط المسلمين وقاعدة انطلاقهم.

كما في الحديث أنه ﷺ قال: (إن فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام)[٨٠].

وتتابع الطائفة المنصورة بقيادة المهدي عليه السلام، مع المسلمين من أصل تركي ورومي، يتابعون باتجاه القسطنطينية - وهي الآن تقع إلى الشمال الغربي من مدينة حلب، والتي جرت قربها الملحمة الكبرى، واسمها اليوم استانبول، وهي في تركيا الآن، جانب منها في البحر وجانب منها في البر، وكانت فيما مضى مركز الخلافة الإسلامية العثمانية، وكان اسمها الأستانة -

فتح القسطنطينية:

فيفتحها الله للمسلمين دون قتال، وسلاحهم التهليل والتكبير.

كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: (سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: لا تقوم الساعة

[٧٩] مسلم — ٢١/١٨ — ٢٢ كتاب الفتن وأشراط الساعة.

[٨٠] سنن أبي داود (مع عون المعبود) كتاب الملاحم — كتاب في المعقل من الملاحم (١١ — ٤٠٦) والحديث صحيح وكذلك في صحيح الجامع ٢١٨/٢ ح ٢١١٢.

حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق، فإذا جاؤوها، نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح، ولم يرموها بسهم قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر، فيسقط أحد جانبيها قال ثور: ولا أعلمه إلا قال الذي في البحر، ثم يقولوا ثانية: لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولون الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر، فيفرج لهم، فيدخلوها فيغنمون)[٨١].

وقوله بني إسحاق، والروم من بني إسحاق فكيف يكون فتح القسطنطينية على أيديهم.

ذهب ابن كثير على أن الروم يسلمون في آخر الزمان، ولعل فتح القسطنطينية على أيدي طائفة منهم، كما نطق به الحديث المتقدم، أنه يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق، وهذا يعزز ما ذكر سابقاً، من أن المسلمين من أصل رومي انحازوا للمسلمين، وفتح القسطنطينية بدون قتال لم يقع إلى الآن.

روى الترمذي عن أنس بن مالك: (فتح القسطنطينية مع قيام الساعة)[٨٢].

وفي السابق جرت محاولات لفتح القسطنطينية منذ عهد الصحابة حتى فتحت في العهد العثماني.

يقول أحمد شاكر: (فتح القسطنطينية المبشر به في الحديث سيكون في مستقبل قريب أو بعيد، يعلمه الله عز وجل، وهو الفتح الصحيح لها حين يعود المسلمون إلى دينهم الذي أعرضوا عنه، وأما فتح الترك الذي كان قبل عصرنا هذا. فإنه كان تمهيداً للفتح الأعظم، ثم هي خرجت بعد ذلك من أيدي المسلمين، منذ أعلنت حكومتهم هناك أنها حكومة غير إسلامية وغير دينية، وعاهدت الكفار أعداء الإسلام، وحكمت بأحكام القوانين الوضعية الوثنية الكافرة، وسيعود الفتح الإسلامي لها إن شاء الله تعالى كما بشر به النبي ﷺ)[٨٣].

فتح روميّة ـ روما ـ

واستكمالاً لتحقيق انتصار المسلمين، وظهور الدين، يتابع المسلمون اندفاعهم أو فرقة منهم على الأرجح حتى يصلوا إلى رومية – عاصمة إيطاليا اليوم وفيها حاضرة

[٨١] مسلم – ١٨/٤٣ – ٤٤ كتاب الفتن وأشراط الساعة.

[٨٢] جامع الترمذي – باب ما جاء من علامات خروج الدجال ٦/٤٩٨.

[٨٣] حاشية عمدة التفسير عن ابن كثير ٢/٢٥٦ اختصار وتحقيق أحمد شاكر.

الفاتيكان مقرّ بابا النصارى - فيفتحوها كذلك، ويغنموا منه كثيراً... ولعل بسقوطها كسراً لشوكة النصارى قاطبة وبداية ظهور الدين الحق.

فعن أبي قبيل قال: (كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص، وسئل أي المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أم روميّة؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق. قال: فأخرج منه كتاباً، قال: قال عبد الله: بينما نحن عند رسول الله ﷺ نكتب، إذ سئل رسول الله ﷺ: أي المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أم روميّة فقال ﷺ: "مدينة هرقل تفتح أولاً" - يعني القســطنطينية -)[٨٤].

وكذلك تتابع عصابة من المسلمين فتح البلاد شرقاً إلى بلاد الهند[٨٥] كما تابعت أخرى غرباً...

الدجّال:

سبق في الحديث أن المسلمين وهم يغنمون بعد فتح القسطنطينية، ينادي مناد: (أن الدجال قد خلفكم في أهليكم، فيرسل المسلمون طليعة فيها عشرة فوارس لاستطلاع خبر الدجال).

قال ﷺ: (إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذٍ) رواه مسلم[٨٦].

ثم يرجع المسلمون إلى دمشق، وهناك يعلمون بنبأ خروجه حقيقة، ويستعدون لملاقاته... ولنتعرف قليلاً عليه.

---

[٨٤] أحمد (١٧٦/٢) والدارمي (١٢٦/١) وابن أبي شيبة في المصنف (٢/١٥٢/٤٧) — وصححه الحاكم (٤٢٢/٣، ٥٠٨/٤). ووافقه الذهبي وهو في السلسلة الصحيحة.

[٨٥] حديث: " عصابتان من أمتي أحرزهما الله من النار: عصابة تغزو الهند، وعصابة تكون مع عيسى عليه السلام.

أخرجه النسائي (٦٤/٢) وأحمد (٣٧٨/٥).

والحديث إسناده قوي وصحيح — سلسلة الأحاديث الصحيحة/١٩٣٤.

[٨٦] مسلم — الفتن وأشراط الساعة ٢٤/١٨ — ٢٥.

سمي بالمسيح الدجّال لأن إحدى عينيه ممسوحة، أو لأنه يمسح الأرض في أربعين يوماً، وسمي دجالاً لأنه يغطي الحق بالباطل، أو لأنه يغطي الأرض بكثرة جموعه، والله أعلم.

وهو من بني آدم، وقد حذرنا ﷺ كما حذر جميع الأنبياء أقوامهم من فتنته.

فقد قال ﷺ: (بينما أنا نائم أطوف بالبيت...)، فذكر أنه رأى عيسى بن مريم عليه السلام، ثم ذكر أنه رأى الدجال فوصفه، فقال: (فإذا رجل جسيم أحمر، جعد الرأس، أعور العين، كأن عينه عنبة طافئة... الحديث)(٨٧).

وفي رواية أخرى: (إنه شاب قطط شديد جعودة الشعرعينه طافية)(٨٨).

وفي رواية عند أبي داود: (إن مسيح الدجال، رجل قصير أفجع - مقوس الساقين - جعد أعور، مطموس العين، ليس بناتئة ولا جحراء، فإن أُلبِسَ عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور)(٨٩).

وفي رواية: (إنه أجلى الجبهة، عريض النحر، فيه دفأ) - فيه انحناء -(٩٠).

وفي رواية عند البخاري؛ (أن بين عينيه مكتوب كافر، وعند مسلم، تَهَجَّاها — [ك] [ف] [ر] - يقرأ كل مسلم كاتب وغير كاتب)(٩١).

قال النووي في شرح مسلم: (والصحيح الذي عليه المحققون؛ أن هذه الكتابة على ظاهرها، وأنها كتابة حقيقية جعلها الله آية وعلامة من العلامات القاطعة بكفره وكذبه، يظهرها الله تعالى لكل مسلم كاتب وغير كاتب، ويخفيها عمن أراد شقاوته وفتنته، ولا امتناع في ذلك، وهو لا يولد له، ولا يدخل مكة والمدينة)(٩٢).

---

(٨٧) البخاري — كتاب الفتن — باب ذكر الدجال ٩٠/١٣.
(٨٨) مسلم — كتاب الفتن وأشراط الساعة — باب ذكر الدجال ٦٥/١٨.
(٨٩) سنن أبي داود مع عود المعبود ٤٤٣/١١.
أنظر صحيح الجامع ٣١٧/٢ — ٣١٨ ح ٢٤٥٥.
(٩٠) مسند أحمد ٢٨/١٥ — ٣٠ تحقيق أحمد شاكر.
النهاية في الفتن ١٣٠/١ تحقيق د. طه زيني.
(٩١) نفس المصدر السابق.
(٩٢) مسلم شرح النووي ٦٠/١٨.



وقال القاضي عياض: (إن عيني الدجال كلتيهما معيبة فواحدة مطموسة ممسوحة هي العوراء، والطافئة تاتي ذهب ضوؤها وهي اليمنى كما في حديث ابن الخطاب).

وتكون العين اليسرى التي عليها ظفرة غليظة وهي الطافية، بلا همز، معيبة أيضاً فهو أعور العين اليمنى واليسرى معاً.

وقال النووي في هذا الجمع: (هو نهاية الحسن)[٩٣]، ورجحه أبو عبد الله القرطبي[٩٤].

وقد لا يخدم بحثنا كثيراً إن كان الدجال قد كان على زمن النبي ﷺ — ابن صيّاد – أو هو مخلوق ومقيّد في إحدى الجزر ينتظر الإذن له بالخروج...

بقدر ما يخدمنا خروجه وأفعاله في آخر الزمان، فقد جزم كثير من العلماء بأن ابن صيّاد، وهو من يهود المدينة هو الدجال، وقد ذهب إلى أصبهان ينتظر الخروج، وآخرون رجحوا أن الدجال في جزيرة مقيّد، ينتظر الإذن بالخروج كذلك، كما جاء في حديث الحسّاسة، المروي عن تميم الداري. وفي كلا الأمرين هنالك أحاديث صحيحة وآثار كثيرة لا نود الخوض فيها كما ذكرت سابقاً.

مكان خروجه:

يخرج الدجال من جهة المشرق من خراسان من يهودية أصبهان، ثم يسير في الأرض فلا يترك بلداً إلا دخله إلا مكة والمدينة، فلا يستطيع دخولهما لأن الملائكة تحرسهما.

ففي حديث فاطمة بنت قيس أن النبي ﷺ قال في الدجال: (ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن لا بل من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو، وأومأ بيده إلى المشرق) [رواه مسلم، قصة الجساسة: ١٨/ ٨٣].

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ قال: (الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان[٩٥])[٩٦].

[٩٣] مسلم شرح النووي ٢/٢٣٥.

[٩٤] التذكرة ص ٦٦٣.

[٩٥] خراسان بلاد واسعة من جهة المشرق وتشتمل على عدة مدن منها نيسابور، هراة، مرو وبلخ وما يتخلل ذلك من المدن دون بحر جيحون. معجم البلدان (٢/٣٥٠).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يخرج الدجال من يهودية أصبهان[٩٧] معه سبعون ألفاً من اليهود)[٩٨].

قال ابن حجر: (وأما من أين يخرج؟ فمن قبل المشرق جزماً) [فتح الباري][٩٩].

قال ابن كثير: (فيكون بدء ظهوره من أصبهان من حارة يقال لها اليهودية).

وقيل: إنه يخرج من خلة بين العراق والشام، ففي صحيح مسلم: (وأنه خارج من خلة بين الشام والعراق، فعاث يميناً وعاث شمالاً).

ولا تعارض من وجهين:

الأول: يقال عن بلاد فارس عراق العجم.

الثاني: ولو خرج مثلاً من بين العراق الحالي والشام فهو كما في الحديث يذهب يميناً باتجاه أصبهان وخراسان ثم شمالاً إلى الشام...

جاء في حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها أن الدجال قال: (فأخرج أسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة - المدينة المنورة - فهما محرمتان عليّ كلتاهما كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحداً منها استقبلني ملك بيده السيف صليتاً يصدني عنها وأن على كل ثقب منها ملائكة يحرسونها) رواه مسلم، نفس المصدر.

وكذلك من خلال حصاره المدينة يخرج إليه منافقوها وتنفي المدينة خبثها...

وذلك المنع والتجوال كله بعد خروجه لا قبل.

---

[٩٦] الترمذي ٤٩٥/٦ – الألباني صحيح الجامع الصغير ١٥٠/٣ ح ٣٣٩٨.

[٩٧] أصبهان قال ياقوت الحموي: " مدينة أصبهان بالموضع المعروف بجي الآن يعرف بشهرستان وبالمدينة، فلما سار بختنصر وأخذ بيت المقدس وسبى أهلها حمل معه يهودها وأنزلهم أصبهان فبنوا لهم بطرف مدينة جي محلة ونزلوها وسميت اليهودية، فمدينة أصبهان اليوم هي اليهودية. معجم البلدان (٢٠٨/١).

[٩٨] الفتح الرباني ترتيب مسند أحمد ٧٣/٢٤ صحيح/فتح الباري ٢٢٨/١٣.

[٩٩] فتح الباري ٩١/١٣.

ويتبع الدجال كما في الحديث: (يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون أنفاً عليهم الطيالسة)[100] رواه مسلم.

والطيلسان؛ هو رداء يلبس على الكتف ويلف به الجسم وهو غير مخيط، ومن أتباعه اليهود والعجم وأخلاط الناس والنساء.

وفتنته كما أخبر ﷺ في صحيح مسلم: (لأنا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان أحدهما رأي العين ماءٌ أبيض والآخر رأي العين نار تأجج، فأما أدركن أحد فليأت النهر الذي يراه ناراً وليغمض ثم ليطأطئ رأسه فيشرب منه فإنه ماء بارد)[101].

وروى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: (ألا أخبركم عن الدجال حديثاً ما حدّثه نبيٌّ قومه؛ إنه أعور وإنه يجيء معه مثل الجنة والنار فالتي يقول إنها الجنة هي النار وإني أنذرتكم به كما أنذر به نوح قومه)[102].

وسئل ﷺ عن لبثه في الأرض فقال: (أربعون يوماً، يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم، وإسراعه في الأرض كالغيث استدبره الريح، ويأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت وتتبعه كنوز الأرض، ويدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك) رواه مسلم.

وعند البخاري؛ أن هذا الرجل الذي يقتله الدجال خير الناس يخرج إلى الدجال من مدينة رسول الله ﷺ فيقول: (أشهد أنك الدجال الذي حدثنا عنه رسول الله حديثاً)، فيقول الدجال: (أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون في الأمر؟)، فيقولون: (لا)... فيقتله ثم يحييه، فيقول الرجل: (والله ما كنت فيك أشد بصيرة مني اليوم)، فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه[103].

ويعيث في الأرض فساداً، وفي أثناء حصاره للمدينة ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه، فينفي الخبيث منها كما ينفي الكير خبث الحديد... وتتساءل أم شريك فتقول: أين العرب يومئذٍ يا رسول الله؟ فيقول ﷺ: (هم قليل... الحديث) [رواه ابن ماجة].

[100] مسلم – الفتنة وأشراط الساعة.

[101] نفس المصدر.

[102] المصدر السابق.

[103] البخاري – كتاب الفتن – باب " لا دخل الدجال المدينة " ١٠١/٣١.

وأرشد النبي ﷺ إلى اتقاء فتنة الدجال بالتعوّذ من فتنة الدجال وخاصة في الصلاة قبل التسليم: (اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن فتنة المسيح الدجال... الحديث)[١٠٤].

وأوصى ﷺ بحفظ عشر آيات من أوائل سورة الكهف وأواخرها[١٠٥].

وكذلك الفرار من الدجال، فقد قال ﷺ: (من سمع بالدجال فلينأى عنه فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه، مما يبعث به من الشبهات، أو لما يبعث به من الشبهات...)[١٠٦] صحيح أبو داود.

ولا خوف على المؤمن إذا تسلح بالعقيدة الصحيحة، وعرف أسماء الله وصفاته الحسنى التي لا يشاركه فيها أحد، وأنه لا أحد يرى ربه حتى يموت.

نزول عيسى عليه السلام:

في هذه الأثناء تركنا الطائفة المنصورة في دمشق لتعدَّ لملاقاة الدجال، وأميرهم المهدي عليه السلام.

فقد جاء في صحيح مسلم أنه ﷺ قال: (فبينما المسلمون يستعدون لملاقاة الدجال وجيشه، يسوون الصفوف، فيترل عيسى عليه السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، فيقول إمام المسلمين؛ تعال صلِّ بنا).

وفي رواية أخرى من حديث النواس بن سمعان قال ﷺ: (إذ بعث الله المسيح بن مريم، فيترل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق وعليه مهرودتان – ثوب - واضعاً يديه على جناحي ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدّر منه جمانٌ كاللؤلؤ، ولا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث طرفه) مسلم[١٠٧].

---

(١٠٤) البخاري – كتاب الأذان – باب الدعاء قبل السلام ٣١٧/٢.

(١٠٥) مسلم – كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(١٠٦) الفتح الرباني ٧٤/٢٤. سنن أبي داود مع عون المعبود ٢٤٢/١١ – مستدرك الحاكم ج ٥٣١/٤.

(١٠٧) مسلم – كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث طويل ١١٠ – (٢١٣٧) شرح النووي باب ذكر الدجال.

وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة)، قال: (فيترل عيسى بن مريم عليه السلام، فيقول أميرهم تعال صلِّ لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة)[١٠٨].

يقول ابن كثير: (إن الأشهر في موضع نزوله عليه السلام عند المنارة البيضاء بدشق، وهي إلى جانب الجامع الأموي).

قلت: وهي موجودة الآن وحجارتها بيضاء، وتسمى عند العامة "مئذنة عيسى".

وحينما يعلم الدجال ومن تبعه بترول عيسى عليه السلام، ويشاهده، يهرب بعد أن حاصر المسلمين في دمشق، يهرب باتجاه بيت المقدس...

ويتبعه المسلمون بقيادة عيسى عليه السلام، وتبدأ سلسلة من القتال بين المؤمنين، على رأسهم المسيح عليه السلام وبين اليهود، وعلى رأسهم المسيح الدجال في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس. وقد جاء في ذلك أحاديث صحيحة.

قتال اليهود:

قد روى مسلم أن النبي ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهود وراء الحجر والشجر، فيقول: يا مسلم يا عبد الله! هذا يهودي ورائي تعال فاقتله إلا الغرقد)[١٠٩].

يقول النووي: (الغرقد هو شجر مثل الشوك معروف في بلاد بيت المقدس).

وقال أبو حنيفة الديناري: (إذا عظمت العوسجة صارت غرقدة).

وفي صحيح البخاري: (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر؛ وراءه يهودي، يا مسلم هذا يهودي تعال ورائي فاقتله)[١١٠].

---

[١٠٨] مسلم – كتاب الإيمان (١) باب ٧١ نزول عيسى حديث رقم ٢٤٧ – (١٥٦) شرح النووي.
[١٠٩] مسلم – شرح النووي – كتاب الفتن ١٨/٤٤ – ٤٥.
[١١٠] البخاري – كتاب الجهاد – باب قتال اليهود ٦/١٠٣.

يقول ابن حجر: (هو إخبار بما يقع في مستقبل الزمن، قوله: تقاتلون، فيه جواز مخاطبة الشخص والمراد غيره ممن يقول بقوله، ويعتقد بعقيدته، لأن المراد بـــ "تقاتلون" أي المسلمون والخطاب الشفاهي يعم المخاطبين ومن بعدهم).

ومن سياق الأحاديث أن كلام الحجر والشجر حقيقة لأن كلام الجمادات ثابت في هذه الأحاديث وغيرها.

وفي كل هذه الروايات دليل على انتصار المسلمين على اليهود انتصاراً نهائياً، كما أن عيسى عليه السلام يقتل ملكهم الدجال، كما في الصحيح عند ابن ماجة: (فيدركه – أي المسيح عليه السلام – عند باب اللُّدْ الشرقي فيقتله — للدجال – فيهزم الله اليهود، فلا يبقى شيء ممّا خلق الله يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء... الحديث)[١١١].

و "باب لد"؛ قرب بيت المقدس موجودة الآن، وفيها مطار كبير، وهذه الهزيمة لا تقوم لهم بعدها قائمة والحمد لله...

خروج يأجوج ومأجوج:

وما أن ينتهي المسلمون من الدجال وأتباعه من اليهود حتى تخرج تلك الأقوام من وراء السد، كما قال تعالى: {حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ...} [سورة الأنبياء: ٩٦ – ٩٧].

ويأجوج ومأجوج؛ اسمان لأقوام من البشر من ذرية آدم وحواء عليهما السلام، من ذرية يافث من ولد نوح عليه السلام، وهم الذين كانوا يفسدون في الأرض، فاستعانت أقوام تجاورهم بذي القرنين حتى بنوا سداً، يحول بينهم وبين الآخرين، {حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ۞ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا... إلى آخر الآيات} [الكهف: ٩٣ – ٩٤].



[١١١] النهاية في الفتن والملاحم ١/١٢٨ — ١٢٩ تحقيق د. طه زيني.

{فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً} [الكهف: ٩٧]؛ أي لا يستطيعون تسلق هذا السد ولا يستطيعون إحداث ثغرة فيه، حتى يؤذن لهم بالخروج، كما قال تعالى: {فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً} [الكهف: ٩٨].

وروى الإمام أحمد أن النبي ﷺ خطب فقال: (إنكم لتقولون لا عدوّ، وإنكم لا تزالون تقاتلون عدوّاً حتى يأتي يأجوج ومأجوج؛ عراض الوجوه، صغار العيون، شهر الشعاب - أي الشعر - من كل حدب ينسلون كأن وجوههم المجان المطرقة).

فيلجأ عيسى عليه السلام ومعه المؤمنون تحرزاً منهم.

كما في الحديث عن النواس بن سمعان رضي الله عنه وفيه: (إذ أوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم، فحرِّزْ عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون - يظهرون من غليظ الأرض ومرتفعها - فيمر أولهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويُحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مئة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب إلى الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف - أي على يأجوج ومأجوج، النغف؛ دود يكون في أنوف الإبل والغنم - وفي رقابهم، فيصبحون فرسى - أي قتلى - كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيراً كأعناق البخت - أي طويلة الأعناق كالإبل طويلة العنق - فتحملهم، فتطرحهم حيث شاء الله) رواه مسلم.

وزاد في رواية بعد قوله؛ "لقد كان بهذه مرة ماء": (ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر - جبل بيت المقدس - فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض هلم لنقتل من في السماء، فيرمون بنشابهم - بسهامهم - إلى السماء، فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دماء) صحيح مسلم - باب ذكر الدجال[١١٢].

ويوقد الناس من قسيهم ونشابهم وتروسهم سبع سنين كما مر سابقاً...

[١١٢] مسلم بشرح النووي - كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب ٢٠ - ذكر الدجال - ١٠/١١١.

ويحكم عيسى عليه السلام المسلمين سبع سنين بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ. ولا يقبل من الناس إلى ملة الإسلام، ويقتل الخنزير ويكسر الصليب، ولا يقبل منهم جزية، فقط الإسلام أو السيف(١١٣).

أما عن نزوله فهو نزول حقيقي بجسمه وروحه لأنه بنصوص القرآن الكريم لم يُقتل ولم يُصلب بل رفعه الله إليه، كما في قوله تعالى: {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ} [النساء: ١٥٧]، وكذلك قوله تعالى: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} [آل عمران: ٥٥]، وفي آية أخرى: {وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ}.

أما قوله تعالى: {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ}، فقد يراد به توقي النوم كقوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ} [االأنعام: ٦٠].

وقد قال تعالى: {وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ} إلى قوله تعالى {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ} [الزخرف: ٥٧ - ٦١].

هذه الآيات تتحدث عن عيسى عليه السلام... أي أن نزوله قبل يوم القيامة هو علامة على قرب الساعة، ويعزز ذلك قراءة مروية عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وهي {وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ}؛ بفتح العين واللام، أي علامة وإمارة على قيام الساعة [تفسير القرطبي ١٦/ ١٠٥، تفسير الطبري ٢٥/ ٩٠ — ٩١].

وروى الإمام أحمد بمسنده عن ابن عباس أن هذه الآيات {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ}، قال: (هو خروج عيسى بن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة) [المسند ٤/ ٣٢٩ ح/ ٢٩٢١، تحقيق أحمد شاكر وقال: إسناده صحيح].

وأحاديث نزوله عليه السلام بلغت درجة التواتر، ويعيش المسلمون فيظل حكمه سبع سنين كما ذكرنا، يفيض فيها المال، ولا يقبله أحد، وتُخرج الأرض خيراتها.

(١١٣) في مسلم: " والله لينزلن عيسى بن مريم حكماً عادلاً... وليضعن الجزية ولتتركن القلائص والإبل فلا يسعى عليها. ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد " نزول عيسى ١٨/٧٥ — ٧٦.

فقد روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: (والذي نفسي بيده ليوشكن أن يترل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخترير ويضع الجزية، ويفيض المال حيث لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها)[114].

ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: (واقرؤوا إن شئتم {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً})[115].

إن البركات التي تحصل في زمن عيسى عليه السلام من كثرة المال والزروع والضروع وزوال العداوات والتحاسد والتباغض حتى ترتع الأسود مع الإبل، ويلعب الصبيان بالحيات، كل ذلك يحصل بعد أن انتصرت الطائفة المنصورة على أعدائها من الروم واليهود وقوى الشر جميعها، وعلى رأسها الدجال ويأجوج ومأجوج حين ذاك يظهر الإسلام على الدين كله وينتهي دور المسلم قي تحقيق وجوده على الأرض ويرغب المسلمون إلى الله على هذه النعم الكبيرة، لذلك تكون السجدة خيراً من الدنيا وما فيها وخاصة قد علم المسلمون قرب الساعة، وأنه تحقق كل ما وعد الله ورسوله.

وبذلك يسدل الستار على الطائفة المنصورة بقيادة عيسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين.

موت المؤمنين وخراب مكة والمدينة:

كما جاء في حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه: (إذ بعث الله ريحاً طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم، وتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة، ولا يبقى في الأرض أحدٌ يقول: الله الله)[116].

وتترك المدينة كما أخبرنا ﷺ: (لتتركن المدينة أحسن ما كانت حتى يدخل الكلب أو الذئب فيغذي – يبول – على بعض سواري المسجد أو على المنبر)، فقالوا: يا رسول

[114] صحيح البخاري مع الفتح – كتاب أحاديث الأنبياء – باب نزول عيسى. مسلم باب نزول عيسى بن مريم عليه السلام حكماً ١٨٩/٢ – ١٩١.

[115] الآيات ١٥٩ سورة النساء.

[116] مسلم – باب ذكر الدجال ٧٠/١٨.

الله فلمن تكون الثمار ذلك الزمان؟ فقال: (للعوافي الطير والسباع... الحديث) صحيح الموطأ[117].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ليسيرن الراكب بجنبات المدينة، ثم ليقولنَ: لقد كان في هذا حاضر من المسلمين كثير)[118].

وكذلك يستحل البيت، وتهدم الكعبة فعن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يخرّب الكعبة ذو السويقتين - كناية عن دقتهما - من الحبشة، فيسلبها حليتها، ويجرّدها من كسوتها، ولكأني أنظر إليه أصيلع — أصْلع — أفيدع - متقوس الساقين - يضرب عليها بمساحته ومعوله) رواه أحمد[119].

وعند البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ﷺ: (كأني أنظر إليه أسود أفحج ينقضها حجراً حجراً)[120] - يعني الكعبة —

وفي رواية للإمام أحمد عنه ﷺ: (لا يعمّر بعده أبداً أي لا يبقى على ظهر الأرض مسلم)[121].

فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى). فقلت: (يا رسول الله... إن كنت لأظن حين أنزل الله {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} [التوبة: ٣٣] أن ذلك تماماً؟!)، قال: (إنه سيكون مَن ذَلك ما شَاءَ اللّه، ثم يَبعث رَيحاً طيبة... فتُوفى كل من في قلبه مثقال حبة من إيمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم).

بعد أن تقبض أرواح المؤمنين ولا يبقى على الأرض من يقول الله الله... يتهارج الناس في الطرق تهارج الحمير... وتعبد الأوثان ويرجع الناس إلى دين آبائهم[122].

---

[117] الموطأ — ٨٨٨/٢ الإمام مالك — تخريج محمد فؤاد عبد الباقي وفتح الباري ٩٠/٤ قال ابن حجر: رواه جماعة من الثقات خارج الموطأ.

[118] مسند أحمد ١٢٤/١ ح ١٢٤ — شرح أحمد شاكر — قال إسناده صحيح.

[119] مسند أحمد ١٠٣/١٨ ح ٩٣٩٤ شرح وتعليق أحمد شاكر صحيح البخاري — كتاب الحج — باب هدم الكعبة ٤٦٠/٣.

[120] البخاري — كتاب الحج — باب هدم الكعبة ٤٦٠/٣.

[121] مسند أحمد ٣١٥/٣ — ٣١٦ ح ٢٠١٠ شرح أحمد شاكر.

ففي مسلم أيضاً: (لا تقوم الساعة حتى تضطرب آليات نساء دوس حول ذي الخلصة)، وهو صنم لهم[١٢٣].

ثم تهدم الكعبة كما في الحديث: (يخرب الكعبة ذو السويقين من الحبشة)[١٢٤]، ينقضها حجراً وحجراً.

وكذلك تخرب المدينة كما مر معنا ذلك بعد الدجال وعيسى عليه السلام حيث يدفن بها.

وماذا بعد موت المؤمنين وخراب مكة والمدينة إلا اضطراب الكون وظهور الآيات الكونية المرعبة قبيل الساعة بقليل، وهي خروج الشمس من مغربها حيث يغلق باب التوبة حينها...

الآيات الكونية الكبرى:

قال الله تعالى: {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً} [الأنعام: ١٥٨].

يقول الطبري: (إن ذلك يكون حين طلوع الشمس من مغربها).

وكذلك روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا جميعاً، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً)[١٢٥].

ثم الدابة ويكون طلوعها ضمن ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من مغربها...

قال تعالى: {وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ} [النمل: ٨٢].

---

(١٢٢) مسلم – الفتن وأشراط الساعة.

(١٢٣) نفس المصدر.

(١٢٤) البخاري ومسلم.

(١٢٥) البخاري – الرقاق ٣٥٢/١١ مسلم – الإيمان ١٩٤/٢.

وفي مسلم في الفتن: عن عبد الله بن عمرو يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحىً وأيهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريباً) [١٨/ ٧٧ - ٧٨ مسلم].

وتكون بعد هذه الآيات العظيمة النار والدخان حيث تخرج نار من قعر عدن، تسوق الناس إلى المحشر... وتكون هذه آخر الآيات العظيمة وبعدها نفخة الصور.

فقد جاء في مسلم: عن حذيفة بن أسيد، في ذكر أشراط الساعة قول النبي ﷺ: (وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم) [الفتن أشراط الساعة/ ٢٧/ ١٨ - ٢٩].

ويكون المحشر في الشام كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة، فقد روى الإمام أحمد عن حكيم بن معاوية النهري، فذكر حديثاً، وفيه قوله ﷺ: (ههنا تحشرون، ههنا تحشرون، ههنا تحشرون، ههنا تحشرون - ثلاثاً - ركباناً ومشاة وعلى وجوهكم...).

قال ابن أبي بكر: (فأشار بيده إلى الشام وقال: "إلى ههنا تحشرون") [مسند أحمد ٤/ ٤٤٦ - ٤٤٧ بهامش كتر العمال].

وهذا حشر الدنيا ثم تقوم الساعة على شرار الناس فهم يصعقون... نسأل الله العفو والعافية، وأن يحشرنا مع المؤمنين... وأن يرزقنا الإخلاص في العمل وحسن الختام عند انتهاء الأجل...



الخاتمة

من خلال ما تقدم نستطيع أن نرسم خريطة لأحداث آخر الزمان، إذ أنه على العموم لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم كما أخبر بذلك ﷺ[١٢٦].

وهذا لا يمنع من فترات، يستعبد فيها المسلمون أنفاسهم، مع استمرارية الطائفة المنصورة، ظاهرة مرة، خابية أخرى، بحسب الأحوال وحسب الظروف.

ولعل صراعاً مدمراً عالمياً وشيكاً يمكن أن يكون بداية لعودة المدنية إلى سابق عهدها ووسائلها، أو خسوفات كما ذكرنا من الشدة بحيث تدمر المدنيَّة؛ وتكون مقدمة لظهور المهدي وبدء ظهور الإسلام على سائر الملل... ومع فتح بلاد الروم والهند ونزول عيسى عليه السلام ليواجه مع الطائفة المنصورة اليهود وعلى رأسهم الدجال... وينتصروا عليهم.

ثم يخرج يأجوج ومأجوج، فينحاز عيسى عليه السلام مع المسلمين إلى جبل الطور، ويهلك الله تعالى هذه الأقوام، ويبقى المسلمون بعد ذلك سبع سنوات بسعادة وخير، حتى تخرج ريح ناعمة، تقبض روح كل مسلم، ويبقى شرار الناس، وتعبد الأوثان، وتخرب مكة والمدينة، وتبدأ الآيات الكونية الكبرى قبيل نفخة الصور بقليل.

من خلال ما تقدم ذكره نلاحظ أن الشام مع الحجاز هي مسرح العمليات... والطائفة المنصورة فيهما، وإن كانت أعمالها بالشام أكثر...

وأن السلاح الأبيض والخيول هو عصب المعارك...

وأن احتمالات صراع عالمي بأسلحة ذات تدمير شامل وارد... وأن اليهود ربما يكونون البادئين بذلك.

فكل هذه المعطيات وكل هذه التوقعات... تستدعي من المسلمين ومن بيدهم اتخاذ القرار والتخطيط... أن توضع هذه الخريطة أمام أعينهم... مع زيادة البحث والدراسة حولها... ذلك للاستفادة منها... وليعرفوا أين يضعون أقدامهم في مستقبل مجهول.

[١٢٦] مسلم – شرح النووي – كتاب الفتن – باب ١٠٧٣ – " يأتي زمان " ح ١٨٩٣.

ولئن كان تحديد الزمان بالضبط متعذراً ولكن على ما يبدو هو أقرب مما نتصور... والمقدمات واضحة... فطوبى لمن قرأ ووعى وعمل لآخرته... وتعساً لمن باع دينه بعرض من الدنيا، وخسر الدنيا والآخرة...

اللهم سدد خطانا، واحفظنا، وكن معنا... واجعل ثأرك على من ظلمنا... واغفر لنا وارحمنا.

وصلِّ اللهم على محمد وعلى آله
والحمد لله رب العالمين



منبر التوحيد والجهاد

* * *

http://www.almaqdese.net
http://www.tawhed.ws
http://www.alsunnah.info
http://www.abu-qatada.com